

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

وَبِهَذِهِ الْمُعَامَلَةِ نُسْرِفُ أَعْمَارَنَا إِسْرَافًا كَمَا نَسْتَخِفُّ بِهَا رَبَّنَا جَلًّا وَعَزًّا. فَكَانَ سَبَبُ هَلَاقِ قَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ الْمُبَالِغَةَ فِي كُفْرِهِمْ بِالْآءِ اللَّهِ وَعَصِيَانَتِهِمْ إِيَّاهُ بِمُحَاوَلَتِهِمْ إِشْءَاءَ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا. كَانَ خَطْوُهُمُ الْأَسَاسِي أَنَّهُمْ نَسُوا كَوْنَ حَيَاتِهِمْ عِبَارَةً عَنِ امْتِحَانٍ يَمْتَحِنُ بِهِ اللَّهُ عِبَادَهُ، وَأَنَّهُمْ رَأَوْا الْعَالَمَ مُسْتَقْبَلًا عَنِ فَاطِرِهِ.

يَا أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ الْعَزِيزَةُ،

يَجِبُ عَلَيْنَا كَمَا سَلِمِي الْمُجْتَمَعِ الْأَوْرُوبِيِّ أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ الْآءَاءَ فِي أَيْدِينَا امْتِحَانٌ لَنَا. وَمِنْ أَبْرَزِ الْأَدِلَّةِ عَلَى وَعْيِنَا بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ أَنَّ نُنْفِقُ أَمْوَالَنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَمِنْ أَلْزَمِ الْحَوَائِجِ أَنْ نَسْتَشِيرَ فِي النَّسْلِ الْجَدِيدِ بِالْتَّرْكِيزِ عَلَى تَرْبِيَّتِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ. فَإِنَّ النَّسْلَ الْجَدِيدَ الَّذِي هُوَ أَمَانَةٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ ضِمْنِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا، فَهُوَ كَذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ الْإِمْتِحَانِ. وَمِنْ أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الْبَابِ الدَّعْمُ لِلْمَوْسَّسَاتِ الَّتِي بُنِيَتْ بِمَشَقَّةٍ لَتَعْلِيمِهِمْ. رُوِيَ عَنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَأْكِيدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «أَكْرَمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدْبَهُمْ»<sup>4</sup>

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

تَعَالَوْا نَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِدَعْمِنَا لِحِمْلَتِنَا لِلْإِنْفَاقِ. فَإِنَّ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَدْنَا أَنْ ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>5</sup> وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ سَيَّرَجِعُ كُلُّ مَا نُنْفِقُ إِلَيْنَا فِي شَكْلِ أُنْبِيَّةٍ ثَابِتَةٍ مَفْرُوشَةٍ وَنَسْلٍ جَدِيدٍ طَاهِرٍ ذِي إِيمَانٍ وَوَعْيٍ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَتَقَبَّلَ اللَّهُ نِيَّاتِنَا وَأَعْطَانَا أَكْثَرَ مِمَّا تَوَقَّعْنَا. آمِينَ

إِنَّ نِعَمَ اللَّهِ الْمَادِّيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهَا بِغَيْرِ بَدِيلٍ أَوْ مُقَابِلٍ مِنَّا مِنْ إِكْرَامِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا نِهَآيَةَ لَهُ. مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ: بَدُنُنَا وَأَعْضَاءُنَا وَإِرَادَتُنَا الَّتِي تَجْعَلُنَا إِنْسَانًا وَعَقْلُنَا وَرُوحُنَا وَفُؤَادُنَا وَقَلْبُنَا. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، نَحْتَاجُ إِلَى رِزْقِ اللَّهِ لِاسْتِمْرَارِ هَذِهِ النِّعَمِ وَبَقَائِهَا وَلِنُنْتِجَ بِهَا أَشْيَاءَ مُفِيدَةً. لَوْلَا الشَّمْسُ لَمَا كَانَ ضَوْءٌ، وَلَوْلَا ضَوْءٌ لَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ أَعْيُنِنَا، فَمَا كَانَ لَهَا فَائِدَةٌ وَلَا مَعْنَى. يُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ:

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾<sup>1</sup>

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَرَامَ،

كَلِمَةُ «الْآءَاءِ» الَّتِي تُسْتَحْدَمُ بِمَعْنَى «النِّعْمَةِ» فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الْمَشْهُورَةِ مِنْ سُورَةِ الرَّحْمَنِ لَهَا مِيزَةٌ مُثِيرَةٌ لِلْإِهْتِمَامِ، لِأَنَّهَا تَشْمِلُ النِّعَمَ الْجَلِيَّةَ وَالْحَفِيَّةَ الَّتِي نَعْمَلُ عَنْ وَعْيِهَا مَعَ أَنَّ اللَّهَ يُنْعِمُ بِهَا عَلَيْنَا فِي كُلِّ حِينٍ كَالْتَّفَافِ، وَضَرْبِ الْقَلْبِ وَعَمَلِ الْجَوَارِحِ بِاسْتِمْرَارٍ. إِذَنْ مَا هِيَ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ خَلْفَ الْحُصُولِ عَلَى هَذَا الْإِكْرَامِ الْعَظِيمِ؟ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يُرِيدُ مِنَّا أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ الْآءَاءَ الْكَرِيمَةَ امْتِحَانٌ لَنَا. لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا غَفَلَ عَنْ ذَلِكَ قَدْ يَظُنُّ بِأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ كُلَّ هَذِهِ النِّعَمِ فَيَقْتَنِعُ بِذَلِكَ. يَبِينُ لَنَا رَبُّنَا تَعَالَى هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فِي سُورَةِ الْفَجْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَيْهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾<sup>2</sup> أَي: أَكْرَمَنِي لِأَنِّي مُسْتَحِقُّ لِهَذِهِ النِّعَمِ!<sup>3</sup>

إِخْوَتِي الْكَرَامَ،

إِنَّ هَذَا الْمَوْقِفَ الْوَقِيعَ فِي غَايَةِ الْكُفْرِ بِالنِّعَمِ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ سُوءِ الْإِدْرَاقِ لِلْوَقِيعِ. وَإِنْ انْعَكَسَ هَذَا الْمَوْقِفُ فِي أَفْعَالِنَا هُوَ صَرَفُ أَمْوَالِنَا وَأَبْدَانِنَا وَأَرْوَاحِنَا فِي طُرُقٍ لَا فَائِدَةَ فِيهَا.

<sup>4</sup> ابن ماجه في «سننه» في باب الأدب (٣)

<sup>5</sup> سورة إبراهيم: ٧

<sup>1</sup> سورة الرحمن: ١٣

<sup>2</sup> سورة الفجر: ١٥

<sup>3</sup> انظر التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي